

صمت وداع Wilkinson

ما أغرب قدري.

دائماً وحدي.

جالساً بين نساء كثيرات.

لا في الصدارة أبداً.

مجرد ضيف.

والحق أن هذا الدور لم يضايقني يوماً.

كان ثمة شيء آخر يستأثر بانتباهي دائماً.

شيء تأخذه النساء من غير استئذان.

لا المال.

فذاك كان دائماً أقل الأمور إثارة للاهتمام.

يأخذن الانتباه.

الفضول.

الأفكار.

شظايا من الوقت.

حصصاً كاملة من طاقتك الذهنية.

وفي أغلب الأحيان يفعلن ذلك من غير أن ينتبهن.

القاعدة الأولى ظلت هي نفسها دائماً.

أن تجعلهنّ يبتسمن.

لكن من غير أن تتصرف كالأبله.

فبين الدعابة والغباء فرق كبير.

الأولى تفتح الحديث.

والثاني يغلقه.

وإلا انتهى أرقى عشاء إلى ما لا يزيد كثيراً على وجبة سريعة.

عندها شرعتُ أشرح نظريتي الأنثروبولوجية الخاصة في الفولاذ.

كنت أرجو أن أبدو جديراً بالتصديق.

لا أن أُصدَّق بالضرورة.

تخيلتُ صباحاً بعيداً.

رجل غادر كهفه ليلحق بموعد غرامي.

لكن رفيقته لم تكن تنوي أن تتركه يذهب.

تبعته في الغابة.

أرادت أن تعرف إلى أين يذهب.

ومع مَن.

ولماذا.

في تلك الأيام كان الجميع أحراراً، ولم يكن علماء الاجتماع قد اخترعوا المشاعية الجنسية بعد.

وفي لحظة ما استشاط غضباً.

التقط حجراً ورماه نحو المرأة ليبعدها.

أصاب الحجر صخرة.

شرارة.

ثم أخرى.

ثم دخان.

وتكفّلت الريح بالباقي.

وهكذا وُلدت النار.

انتهى الموعد الغرامي في الحال.

ما حدث كان أهمّ من ذلك بكثير.

لم يكن موصوفاً بعدُ في أي كتيّب.

ولا حتى في كتيّبات Amazon.

كان لا بد من مراقبته.

وفهمه.

واستعماله.

كانت النساء حول المائدة يصغين صامتات.

لا أحد يأكل.

اضطُر النادل إلى إعادة أطباق الحساء إلى المطبخ ليسخّنها مرة ثانية.

ثم حدث ما هو أغرب.

أزواج عدة يجلسون إلى الموائد المجاورة قرّبوا كراسيهم منا.

بدا الأمر كأنه عرض مسرحي.

مع أنني لم أرد سوى أن أجعلهنّ يبتسمن.

في تلك اللحظة كففتُ عن أن أكون جديراً بالتصديق.

وصرتُ مُصدَّقاً.

كنت أروي قصة لم يكتبها أحد قط.

قصة ممكنة عن أسلافنا.

توقفت.

نظرتُ إلى ماغي.

«أتحبّين حضرتكِ أن أواصل؟»

لم تتردد ثانية واحدة.

«نعم، يا ابن العاهرة الرائع.»

فانفجرنا جميعاً ضاحكين.

ثم واصلت.

مع النار، بدأت المرأة تدرك أن هذا الاكتشاف يصلح للطعام.

الحرارة غيّرت المذاق.

وحوّلت الطبيعة نفسها.

ومن غير أن ينتبه أحد، أخذ متوسط عمر الإنسان، الذي كان لا يكاد يبلغ العشرين، يتقدم ببطء نحو الأربعين.

النار ضاعفته.

تراجع التلوث البكتيري.

انحسرت العدوى.

وكسب الجسد البشري وقتاً.

ثم، في عصر يوم عادي أمام كهف، التقطت تلك المرأة نفسها عدداً من الحجارة.

تفحصتها عن قرب.

ضربت بعضها ببعض.

درستها.

بلا أفران عالية.

بلا مصانع صلب.

بلا مهندسين.

بدأت الرحلة الطويلة التي ستفضي في النهاية إلى المعدن.

ثم، لاحقاً، إلى الفولاذ.

ولهذا، لولا امرأة، ما كنتُ هنا اليوم.

وما كنت لألتقيكنّ قط.

وما كنت لأعرف قدركنّ قط.

وما كنت لأستطيع قط أن أطوي في وداعٍ ما صرتُ إليه.

بقيت المائدة صامتة.

صمت يختلف عن كل ما سبقه.

لم يكن صمت الترقب.

كان صمت الوداع.

نظرتُ إلى ماغي.

نظرتُ إلى ابنتها.

نظرتُ إلى حفيدتيها.

وأدركتُ أنني لا أودّع أسرة.

كنت أودّع قصة.

عائلة Wilkinson

أهلاً بكم.

نهضتُ وانصرفت.

لأنني لم أحتمل يوماً دموع امرأة.

فرديناندو

PDF ← ملحمة Wilkinson

استكشف الملاحم الأخرى

· Vatican · One Door · Genesis · Opera · Wood · المكتبة · الخرائط · The Corpus

اتصل بنا